المشرق

الكلدان النساطرة في الصين [1]

لحضرة الخوري بطرس عزيز النائب البطريركي على الكلدان في حلب

كانت بلاد الصين تُقسم في جغرافية الشرقيين القديمة الى قسمين الصين العليا او الشمالية وتسمّى الصين او الچين او بلاد الختا ويحدُّها بلاد التتر شمالاً والصين الحالية جنوباً ونهر جيحون شرقاً وتركستان غرباً وقاعدتها خان بالق او بكين . والصين السفلى او الجنوبية وهي الصين الحالية وكانت تسمّى ماچين وقاعدتها خمدان او تانكين على انَّ الآثار التاريخيَّة لا سيَّما الاثر الجليل المكتشف عليه في مدينة «سنغان فو» تشهد على انَّ النساطرة في أيام عزّهم بعثوا مرسلين ليزرعوا في تلك البلاد البعيدة بذور الانجيل المقدَّس فنما الزرع وزكا من قديم الزمان في كل من هذين القسمين حتى الجيل السادس عشر وهو آخر عهدنا بوجودهم هناك . ففي سنة ١٤٩٠ رُسم يوحنا مطراناً على ماچين من يد شمعون الثالث الجاثليق وربَّما سمّي يوحنا هذا مطران اتل ايضاً ثم خلفهُ

---

(١) طالما انتظم هذه المقالة الكتب الآتية : ١ً المكتبة الشرقية الجلد الاخير للعلامة السمعاني . ٢ً تراجم البطاركة لمسرور بن متى الطيرهاني . ٣ً التاريخ الكنسي لابن العبري . ٤ً كتاب الرؤساء توما المرجي . ٥ً العلاقات الرسمية بين الكلدان والكرسي الرسولي للاب شموئيل جميل . ٦ً جريدة التمدن الكاثوليكي في تاريخ ٢٠ حزيران ١٩٠٣ Lo Stelo di Singan-fu monumento cristiano dell' VIII secolo in Cina . ٧ً كتاب الاب هنري الیسوعي المطبوع في الصين في ثلاثة اجزاء La Stèle Chrétienne de Si-ngan-fou par le P. Havret s. j., Changhai, 1895-1902 . ٨ً رحلة يابالاها التي نشرها الاب بدجان اللازاري ونقلها الى الفرنسوية الاب شابو

يعقوب ثم يوسف حتى سنة ١٥٠٤ وكانت كنيسة الچين وماچين يومئذٍ متحدة مع كنيسة الهند . وهنا تنقطع سلسلة الآثار في تاريخ مأمتنا في ما يخصّ بلاد الصين ولعلّ المسيحيين انقرضوا من هناك واندثرت معهم المطرانات النسطورية

على انهُ قبل ذاك العهد كانت النصرانيّة النسطوريّة زاهرةً في تلك الاصقاع والكراسي الاسقفيّة والمطرانيّة عديدة وها نحن ذا نورد ما بين ايدينا من آثار تاريخ الامة الكلدانيّة المنبئة بهذا الامر الغريب قبل الكلام عن ذاك الاثر الشهير

١ انَّ عمرو بن متى الطيرهاني اخذًا عن كتاب الجدل لماري بن سليمان الذي عاش في الجيل الثاني عشر جعل في جدول مطرانات النساطرة المقام الثاني عشر لمطران الصين . وفي حاشية الكتاب المذكور يجعل المكان الثالث والعشرين لمطران خان بالق او پكين (١ في الصين الشماليّة ومطران تنكت في الصين الجنوبيّة . ويظهر انَّ المطرنتين قد اتحدتا يوم استولى قوبلاي خان ملك التتر على الصين وجعل قاعدة مملكته پكين سنة ١٢٦٨ فانَّ يابالاها الذي جعل ابن العبري تاريخ رسالته مطرانًا على الصين اعني على خان بالق او پكين سنة ١٢٧٩ كما سترى يدعوه عمرو مطران تنكت

٢ في سنة ١٢٨٠ جلس على كرسي البطاركة النساطرة رجل صيني وهو يابالاها هذا الذي سبق ذكره فانَّ ابن العبري بعد ان ذكر وفاة البطريرك دنحا قال : لما كان دنحا بعد في الحياة اتى من الصين راهبان ياغوريان بامر قوبلاي خان ليذهبا ويسجدا في اورشليم فلمَّا وصلا الى هذه النواحي لم يجدا طريقًا وفرصةً للسفر فبقيا عند مار دنحا . ثم خاف مار دنحا المذكور من ان يذهب عدوه ابن قليغ (٢ الى الصين فرسم احد هذين الراهبين الياغوريين مطرانًا للصين وسمّاه يابالاها . وبينما كانا على وشك الرجوع الى بلادهما توفي مار دنحا . فدخل الامير اشمت الذي كان من جنسهما على ملك المغول واثنى امامهُ على يابالاها واخبرهُ بانَّ النصارى يريدون ان يقيموه عليهم جاثليقًا وانَّ اهل البلد ايضًا رضوا بهِ راجين الافادة منهُ لتقرُّبهِ من المغول بالجنس واللسان . فصدر الامر

(١ راجع المشرق (٤:٩:٤٠٦)

(٢ قال ابن العبري : « شمعون المعروف بابن قليغ كان اسقفًا على طوس مدينة خراسان فرسمهُ مار دنحا الجاثليق مطرانًا على الصينيين فلمَّا بدا يتكبر على الجاثليق قبل ان يذهب الى الصين ارسل فجلبهُ الى عنده في مدينة اشنو من اعمال اذربيجان . . . وبعد ايَّام قليلة مات »

الملوكي ان يصير هو جاثليقاً فجمعوا نحو اربعة وعشرين اسقفاً ونزلوا الى سليق وقسطفون (المدائن) وهناك رسموه جاثليقاً

٣ في سنة ١٢٤٧ كتب ربّان ارام النسطوري نائب الشرق الى البابا اينوشنسيوس الرابع يقول: قد ارسلنا نكم بيد الاخوة المذكورين قصّادكم (اندراوس ورفيقه من رهبنة الدومنيكيين) رسالةً جلبناها من صدر الشرق اعني من ارض الصين

٤ في سنة ١٠٠٧ ارسل عبد يشوع مطران مرو من اعمال خراسان يعلم الجاثليق يوحنا الثاني بانّ ملك الشمنْ المدعو كيرت او التر الداخلين الذين في الشمال الشرقي قد اعتنق الديانة المسيحيّة مع نحو مائتي الف نفس من قومه كما ذكر ابن العبري وعمرو

٥ حدث ابو الفرج بن النديم في كتاب الفهرست سنة ٣٢٧ (٩٨٨ م) انّ راهباً نجرانياً حكى له بانهُ رجع من الصين حيث كان اتفذهُ الجاثليق (النسطوري) منذ نحو سبع سنين مع رفاقٍ خمسة وانهُ مكث هناك نحو ست سنين وكان مقرّهُ مدينة طاجوه

٦ تاودوسيوس البطريرك النسطوري الذي جلس من سنة ٨٥٢ حتى سنة ٨٥٨ يذكر في رسالة سنهادوسية مطران الصين في المكان الاول بعد مطارنة الكراسي الاولية الستّة التي لها حق في رسامة البطريرك فيقول: «انّ اصحاب هذه الكراسي يلزم ان ياتوا كل اربع سنين الى الجمع لمّا مطران الصين فيؤذن له ان لا يراجع البطريرك المقيم في بابل لبُعد بلاده وانّما ينبغي عليه ان يكتب له في كل ست سنين ويعلمهُ عن احوال الكنيسة الصينيّة»

٧ قال توما المرجي: «رُسم داود مطراناً على الصين وقد علمتُ ذلك من رسائل مار طيموثاوس». وجلس هذا البطريرك طيموثاوس من سنة ٧٧٨ حتى ٨٢٠

٨ غير انّ ما يستحقُّ الذكر في هذا الشان اثر تقيس اكتشف سنة ١٣٢٥ بقرب مدينة «سنغان فو» من اعمال خنسي (Chansi) وهي خمدان العرب في الصين الجنوبيّة يخبر بمجيء مرسل نسطوري من بلاد فارس الى الصين سنة ٦٢٥ ويفيدنا عن احوال الكنيسة النسطوريّة هناك الى غاية اقامة الاثر المذكور سنة ٧٨١ والنصب من حجر طولهُ نحو ثلاثة امتار نُقش في قمّتهِ صليب جميل وتحتهُ الكتابة في وجهتهِ وفي قطريهِ

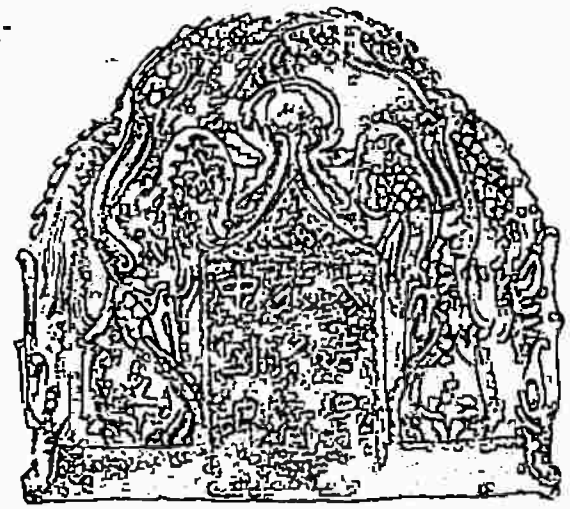

القسم الاعلى من كتابة سنان فو الرافية الى سنة ٧٨١ م (عن كتاب هنري اليسوعي)

والكتابة في هذا الاثر منها باللغة الصينيَّة ومنها بالكلدانيَّة. وتُقسم الكتابة الصينيَّة الى ثلاثة اقسام

فالقسم الاول يشرح خلاصة التعليم المسيحي الذي بشَّر به هؤلاء المرسلون فيذكر وحدانيَّة الله وتثليث اقانيمه وخلقة العالم والخطيئة الاصليَّة ونتائجها وتجسُّد احد الاقانيم الثلاثة الذي يدعوه مشيحا وولادتهُ حتى صعوده واقتداء البشر وبشارة الرسل وما يتعلق بالشرائع والاسرار والعادات المسيحيَّة مثل المعموديَّة والتثبيت والاعتراف والقداس واشارة الصليب والتوجه في الصلاة نحو الشرق وتقديس يوم الاحد وصلاة الفرض واسعاف الموتى والصوم وانَّ الاكليروس زينتهُ اللحية والاكليل في رأسهِ ويذكر كتب العهد القديم على عادة الشرقيين وبسمِّيه الاربعة والعشرين سفرًا مقدسًا وكتاب العهد الجديد ويحصي فيهِ سبعةً وعشرين كتابًا

والقسم الثاني من الكتابة الصينيَّة هو تاريخي مفادهُ انَّ في سنة ٦٣٥ اتى من بلاد

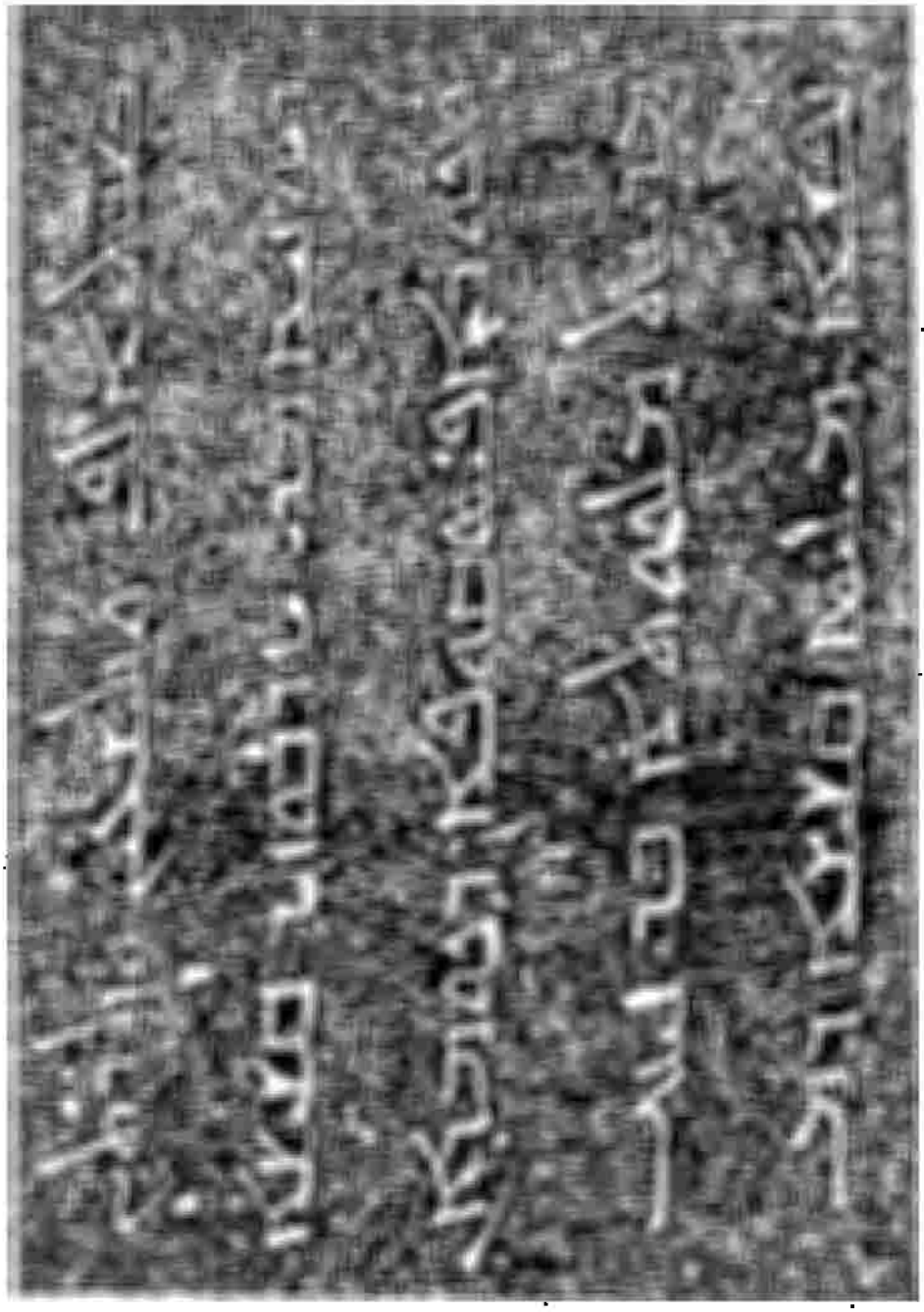

الكتابة الكلدانيّة في آثر سيفقان فو

تاتسين (اي المغرب بالنسبة الى الصين يريد حدود الرومانيين الشرقية) كاهن اسمهُ الاين(١ (Alapen) الى بلاد الصين في عهد الملك تايوتسونغ من سلالة تنغ وهي السلالة الثالثة عشرة لملوك الصين فقبلهُ الملك واكرمهُ واجاز لهُ ان يبشر في بلاده بالديانة المسيحيَّة واصدر منشورًا يؤيد فيهِ هذه الديانة. وفي الاثر نص المنشور ويأمر المندوبين ان يعمروا كنيسة ثم يذكر نجاح النصرانيَّة في الصين في عهد الملك كاوتسونغ ابن تايوتسونغ الذي ملك سنة ٦٥٠ فيقول: « ان كاوتسونغ الملك العظيم ... غرف ان يوسع ويحترم اعمال ابيهِ فامر في جميع الولايات ان تقام كنائس واكرم الاقنوم باسم اسقف الشريعة العظيمة التي تدبر مملكة الصين فانتشرت شريعة الله في الولايات العشر وتمتع الملك بسلام تام وكانت المدن تتلئ بالكنائس والبيوت تزهر بسعادة الانجيل »

ثم يذكر الاضطهاد الذي ثار على النصارى في زمن الملكة فوهوي التي جلست سنة ٦٨٤ وعقبهُ السلام والرفاهة في عهد الملك هيوتسونغ الذي اخمد الاضطهاد المضطرم بعمل جماعة من كهنة الاصنام سنة ٧١٩ وكان يبشر بالانجيل يومئذ يوحنا وكيليا الكاهنان. ولمَّا هذا الملك الف كتابات لاجل الكنائس المسيحيَّة وخطَّها بيده على الورق ونقشها على جدران الكنيسة واجزل لها العطايا وسنة ٧٤٥ انطلق الى الصين كاهن آخر اسمهُ « كيا-هو » برفقة يوحنا ويولس وغيرهما ونشر الدين المسيحي ببسالة هناك. وسنة ٧٥٧ امر الملك سوتسونغ بعمارة كنائس كثيرة ودام ملكهُ حتى سنة ٧٦٣ وخلفهُ تايوتسونغ حتى ٧٨٠ وكان كل سنة في عيد ميلاد الرب يرسل صلوات سماويَّة دليلًا على ممنونيتهِ واكرامًا لخدمة هذه الشريعة المقدَّسة كان يعيِّن لهم من القصر الملوكي مؤن معيشتهم. ثم جاء في عهد الملك كيانتسونغ ٧٨٠ الى بلاد الصين كاهن اسمهُ اوسو (ايشوع؟) واخذ أيبشر بالانجيل فأحبهُ الملك واهداه ثيابًا كنائسيَّة وزيَّنهُ بالقاب ووظائف شريفة في القصر الملوكي وخارجًا عنهُ. وفي ايام هذا الملك اشتهر امير اسمهُ كوكوي انتهز فرصة رضى الملك على النصارى فرمَّم الكنائس المهدومة وبنى كنائس جديدة ولم يكتفِ ان يتعكف على ممارسة شريعتنا المقدَّسة بل كان دأبهُ اعمال الرحمة وكان كل سنة يجمع قسوس الكنائس الاربعة ويخدمهم من كل قلبهِ ويقوم بحاجاتهم جميعها مدَّة خمسين يومًا وكان يشبع الجياع ويكسي العراة ويعتني بالمرضى ويدفن الموتى

١) قد وفق العلامة السمعاني هذا الاسم الصيني بالاسم الكلداني بابالاها

ثم بعد تلخيص ما عملهُ الملوك المذكورون في حق النصارى بوجه الاختصار وبالشعر والقافية يأتي القسم الثالث من الكتابة الصينيَّة وهو تاريخ هذه الكتابة فيقول : « انَّ هذا الاثر قد اقيم في ملك سلالة ثنغ الكبير في السنة الثانية من جلوس الملك كيانتسونغ (سنة ٧٨١) في اليوم السابع من شهر الخريف نهار الاحد (الموافق ٤ شباط) وكان مدبر كنيسة الصين يومئذ الاسقف نيم سيو وانَّ المندرين ليوسياسين خطَّ هذه الكتابة بيده (١) »

امَّا الكتابة الكلدانيَّة فتقسم الى قسمين يحتوي الاول على تاريخ الاثر واسماء القسوس السبعة الذين اهتموا في اقامته وهذا نصُّهُ : « في ايَّام ابي الاباء مار حنانيشوع الجاثليق البطريرك آدم القسيس والخورفسقفوس وباباشي (٢ صيفستان سنة الف واثنتين وتسعين يونانيَّة (٧٨١ مسيحية) مار يزدبوزيد القسيس وخورفسقفوس خمدان مدينة الملك ابن المرحوم ميلس القسيس الذي من بلخ مدينة تاخورستان اقام هذا اللوح الحجري المسطر فيه تدبير مخلصنا وبشارة آبائنا لدى ملك الصينيين آدم الشمّاس ابن الخورفسقفوس يزدبوزيد — مار سرجيس القسيس والخورفسقفوس — سبرنيشوع القسيس — جبرائيل القسيس والارخدياقون وريس كنيسة خمدان وسراغ »

والقسم الثاني يحتوي على اسماء السبعين مرسلًا الذين بشَّروا بالانجيل في الصين من سنة ٦٣٦ حتى ذاك العهد واغلبهم مع لفظ الاسم بالصينية غير بينهم اسم يوحنا الاسقف

---

١) ولعلَّ القارئ يستغرب الاكرام الذي نالهُ النصرانيَّة من ملوك سلالة ثنغ بخلاف ما هو مشهور من معاملة الصينيين للغرباء الذين ليسوا من بني جلدتهم لا سيما ملوكهم فعليهِ ان يلاحظ ان تقليداً كان شائعاً بين الصينيين بان فيلسوفهم لاوتسي في الايام الاخيرة من حياتهِ (٥٥٠ قبل المسيح) سافر الى المغرب الى بلاد تاتسين (يريد بلاد الشرق) على عربة يسحبها ثيران زرق ولم يرجع وان لاوتسي المذكور كان من اجداد عائلة ثنغ الملوكية فلا يبعد ان يكون الملك تايوتسونغ افتكرَ ان التعليم الجديد هو تعليم لاوتسي الفيلسوف المذكور وانَّ هذا التعليم رجع الى بلاده على يد هؤلاء المرسلين بعد ان انتشر في بلاد تاتسين

٢) اختلف العلماء في معنى هذه اللفظة باباشي فقال بعضهم ان معناها بابا اعني رئيس الكنيسة الاعلى الَّا ان سياق الكلام لا يحتمل هذا المعنى فان صاحبها هو خورفسقفوس فقط وقد رأينا ذكر الاسقف في هذا الاثر . فالارجح انها تركيب صيني يعبر بصيغة كلدانيَّة عن وظيفة الكاهن البردوت او الزائر او المفتش وكثيراً ما تُعطى هذه الوظيفة للخورفسقفوس

وغريغور الارخدياقون ومار سرجيس خورفسقوس حينستان وستة رهبان وعددًا كبيرًا من الكهنة وغيرهم

اعترض البعض ان حنانيشوع البطريرك النسطوري كان قد توفي منذ ثلاث سنين يوم أُقيم هذا اللوح فكيف يقال فيه انهُ نُصب ايامهُ. نجيب قد تحقَّق اليوم ان هذا البطريرك لم يمت سنة ٧٧٨ كما ذهب العلَّامة السمعاني بل في ٧٨٠ فلما كان الاثر قد نُصب في ٤ شباط ٧٨١ فلا بد ان تكون الكتابة قد أُعدَّت سنة ٧٨٠ قبل وصول خبر وفاته الى الصين فلا عجب ان يكون الخبر مجهولًا حينئذٍ في الصين وناهيك عن المسافة بين بابل وسنغان فو

ان الارشمندريت الروسي بلَّاجي وجد في مجموع مناشير ملوك تنغ المنضدة سنة ٩٦١ منشور الملك تايوتسونغ المورد في اثرنا لسنة ٦٣٨ بالحرف تقريبًا. والعالم الياباني تاكاكوشو يعلمنا ان في كتاب مؤلف بين ٧٨٠ و ٨٠٤ يروي ان سنة ٧٨٢ اعني سنةً واحدة بعد نصب الاثر النسطوري ذهب احد البوذيين الهنود الى سينغان فو برفقة رجل اكليريكي من كنيسة تاتسين اسمهُ كين تسونغ (وهو اسم آدم بالصينية احد السبعة الذين سموا في اقامة اللوح) وبشر بتعليم المشيحا وترجم الى اللغة الصينية كتابًا بوذيًا (١

صحَّ اذن ان سنة ٦٣٥ اعني في بطريركية ايشوعياب الجذالي النسطوري دخل المرسلون النساطرة في بلاد الصين وبشروا بالانجيل وتبعهم ملوك وشعوب كثيرة وصاروا

---

١) من غريب الامور ان روح الغرض بلغ بعض اهل البدع الى ان ينسبوا الاثر النسطوري الى عمل المرسلين اليسوعيين وتزويرهم ولا عجب فاتهم في هذا الاثر رأوا سطرًا الحكم على مزاعمهم من اناس نساطرة خارجين عن الكثلكة وذلك قبل قيامهم بثمانمائة سنة ومن الجهة الاخرى رأوا فيهِ ما يؤيد اعتقاد وعوائد الكنيسة الرومانيَّة التي نذَّدوا بها وانكروا قدمها وحسبهم ما قال العلَّامة البروتستاني نلدكه وهو يبني برهانه على شكل الكتابة في هذا الاثر قال: «لم يكن فقط محالًا على اليسوعيين ان يسطِّروا كتابة سريانية كهذه بل كان ذلك محالًا على كل انسان عمومًا في الجيل السابع عشر». ثم ان بين لفظ اللغة الصينية في الجيل السابع عشر ولفظها في الجيل الثامن اختلافًا جسيمًا لم يلاحظهُ العلماء الَّا في هذه الايام الاخيرة فان اسم كبرئيل (جبرائيل) مثلًا يقابلهُ بالصينيَّة ملاشان كانتا في الجيل الثامن تلفظان كاب ليت (حرف الراء لا يوجد في اللغة الصينية فيبدلونهُ باللام وربمَّا ابدلوا اللام في آخر الكلمة بالتاء) فاذا قرأها الصيني باللفظ الجديد تُلفظان يا ـ لي فتأمل

الى ما صاروا اليهِ . اما قبل هذا العهـد فليس لنا برهان اكيد على وجود النصرانيَّة في تلك البلاد على ان في تقليد الكلدان البابليين والملباريين ان الرسول توما بشر الهند والصين كما يظهر من صلاة عيد هذا الرسول عندهم وهو قول عبد يشوع الصوباوي وعمرو بن متى . فان لم نقل ان توما بشر الصين بنفسهِ فلا اقلَّ من انهُ صنع ذلك بواسطة تلاميذه وقال عبد يشوع الصوباوي في مختصر القوانين السنهادوسية الجزء الثـامن الفصل ١ : « انَّ مطرنات هراة وسمرقند والصين اقامها صليبا زخا الجاثليق ويوجد من يقول ان الذي اقامها هو احاً وشيلا » فمن هولاء البطاركة احاً جلس قبل دخول النسطرة في بلادنا من سنة ٤١١ حتى ٤١٥ وشيلا من ٥٠٣ حتى ٥٢٠ وصليبا زخا من ٧١٤ حتى ٧٢٨ . فان كان عبد يشوع يرجح القول ان مطرنة الصين اقامها صليبا زخا الَّا انهُ لا يفنـد قول الذين نسبوا ذلك الى احا وشيلا بل يؤيده لانهُ لو لم يكن قبل ذلك العهـد قد انتشرت هناك الديانة المسيحيَّة انتشاراً كافياً لما لزم الامر ان يقيم صليبا زخا رئاسة اسقفيَّة في تلك النواحي وهذا لم يكن حدوثهُ في وقت وجيز . واذا كان ذلك كذلك فيكون الدين المسيحي قد دخل الصين قبل النسطرة (١ وعلى كل حال كفى المِلَّة الكلدانيَّة فخراً ان اكليروسها هو اول من حمل راية المسيح واسمهُ الى تلك البلاد وان شئتَ قل ايضاً ان اول اثر تاريخي يؤكد لنا وجود النصرانية في الصين هو اثر كلداني

لمحة اقتصاديَّة

في مجاري المياه اللبنانيَّة

للاب هنري لامنس اليسوعي مدرس الجغرافية الشرقيَّة في المكتب الشرقي

قد ذكرنا غير مرَّة في كتاباتنا السابقة انَّ لمجاري المياه في لبنان عوائد جمَّة ودوراً مهمًّا في اقتصاد الاهلين . الَّا انَّ كلامنا هذا كان منبثًّا في مطاوي ابحاثنا السابقـة ولعلَّهُ لم يستلفت اليهِ انظار القرَّاء فرأينا العود الى هـذا الموضوع احمد لعظم شأنهِ ولذلك افردنا لهُ فصلاً مفرداً نبيِّن فيهِ ما تحويه هذه الميـاه من الكنوز الدفينة التي

(١ راجع ايضاً ما ورد في المشرق (٣ : ٨٤٨-٨٥٨) في دخول النصرانية الى الصين